

الطبعة الثالثة

# فائز الكندي

## الميدالية قطعة من كتاب

### البراء الشكير والميلاد البديع

أربعين عشر عاماً في عوائض أنا موسى



مركز طروس للنشر والتوزيع  
متخصصون في دراسات الشرق الأوسط



### الميدالية :

في يوم حار من أيام شهر أغسطس المتوجه ٢٠٠٢ اقتادني أربعة من الجنود بعد تقييدي من زنزانتي إلى عنابر التحقيق، قيدا يدي و خصري و قدمي بالسلاسل ، ضيقوا عليها بشدة، شعرت بألم يعصف بي، مشيت معهم من عبر (M) إلى عنابر التحقيقات البعيدة سيراً على الأقدام، نزفت قدماي دماً بسبب الاحتكاك المتواصل للقيود الحادة

بالجلد، ومع طول المشي أصبحت أطراف القيود الحادة كأنها شفرات تحز الجلد، كانوا يتعمدون تقييد بعض المعتقلين المغضوب عليهم بقيود حادة بينما يستخدمون القيود العادلة لبقية المعتقلين، كانت الشمس تلفحني بوهجها الحارق وأنا بالملابس البرتقالية المصنوعة من البوليستر الذي يزيد من درجة حرارة الجسم ويسبب الحكة، كان الجنديان يتعمدان دفعي بقوة لاسرع في المشي فيشتد حز القيود للقدمين، وأخيراً وصلت عنبر (Blue) المخصص للوفود، أجلسوني على الكرسي الحديدي وأوثقوا قدمي بالحلقة المثبتة بالأرض، كانت الغرفة دافئة، لم يطل انتظاري، دخل علي رجل أمريكي مسن أظنه في الستين من عمره، أبيض الشعر والشارب، طويل القامة، ذو سمت رزين، معه مترجم يبدو من لهجته أنه فلسطيني الأصل، جلس الرجل دون أن يقول شيئاً، نظر إلى يدي وقدمي المقيدتين فقال كأنه يمن علي: هل تريد أن أطلب من الجنود إطلاق يديك؟

لا .. شكراً.

أخذ ينظر إلى بقع الدماء على معصمي وقدمي: من فعل بك هذا؟  
أنت.

نظر إلي متظاهراً بالاستغراب.

كل ما يحدث للمعتقل إنما هو بأمر من المحققين.

شعر بالإحراج: هل تريدين أن أخفف عنك القيود؟

شكراً .. لا أحتج إلى مساعدتك.

عموماً أعرفك ببني، أنا دكتور في التاريخ، لكنني متعاقد مع وكالة الاستخبارات المركزية للمساعدة في حربها ضد الإرهاب، وجودي في غوانتانامو لن يستمر أكثر من أسبوع، أردت أن أقابل بعض المعتقلين من نوعية معينة، فأعطيتني وزارة الدفاع ووكالة الاستخبارات قائمة أسماء لا تتعدى أصابع اليدين من بين أكثر من سبعين معتقل، وكنت أنت من بينهم، فهل تتفضل يا ... ، ثم نظر إلي بحدة وهو يقول: يا فايز بالإجابة على أسئلتي؟

كانت عادة المحققين والجنود أن ينادوا المعتقلين بأرقامهم لا بأسمائهم، استغربت حين ناداني باسمي.

لا مانع عندي من الإجابة على أي سؤال تريده، ولكن ليس قبل أن تتوقف إدارة المعتقل عن إهانة المصحف.

بدا جلياً أنه كان يعلم المشاكل بين المعتقلين والجنود حول القرآن: الآن فكر بنفسك، حاول أن تساعد نفسك للخروج من هذا المكان السيئ.

: ليس قبل التوقف عن إهانة قرآننا.

: أنت الآن غريق وأنا أمد إليك يدي لأساعدك على الخروج.

: يبدو أنك بحاجة إلى تغيير نظارتك الطبية، لا يغرق من اعتصم بالله، وفر خدماتك الجليلة لجنودكم الغرقى في أفغانستان.

: نريد أن نعرف ما هي أفكار فايز.

: لا تعليق.

: لم آت من واشنطن لتقول لي لا تعليق.

: أتريدني أن أقدر مجيك بينما لا تكتثر بتعذيبنا واعتقالنا دون محاكمات عادلة؟ لقد حققوا معي قريباً من مئة مرة وأنا أجيبهم عن أسئلتهم، مطلينا بسيط، احترام القرآن وعدم إهانته، وبعدها سل ما شئت.

: ما رأيك بحل الدولتين للمشكلة الفلسطينية؟

: لست ياسر عرفات لتسألني عن رأيي في حل الدولتين؟ وهل أنا في غواتنامو لتسألني عن ذلك؟

: نحن ندرك أن أصل المشكلة بيننا وبينكم هي القضية الفلسطينية، نرى ذلك في أبجدياتكم، هل بإمكاننا أن نعيش معاً في سلام؟

: لا تعليق.

وبعد محاولات عديدة فاشلة بدا عليه التضجر فقال: إن أصحاب الفكر المتطرف والإرهابي الذي تحمله كما يحمله عبد الله عزام وأسامه بن لادن سنجشه من الأرض.

: أنا إغاثي ولست متطرفاً ولا إرهابياً.

أخرج بطاقة مكتوب فيها رقم تلفون ثم ألقاه أمامي وهو يقول: أتعرف هذا الرقم؟

: احترموا قرآننا وسأجيبك على كل أسئلتك.

: ثق بأن توصياتي التي أكتبها للحكومة الأمريكية عنك ستؤخذ بعين الاعتبار، تعاونك معى سينجيك.

: غبي من يضع يده في يد الشيطان.

لقد رأيت الجنود حين قدموا بك يضعون أكفهم على رأسك ليدفعوه إلى الأسفل، هل تريد أن تبقى هنا ذليلاً؟

ابتسمت قائلاً: هذا دليل على عزتنا، ولو كنت ذليلاً لطأطأت رأسي دون أن يحتاج الجنود لإجباري على ذلك.

قال متظاهراً بالحزن وهو مشبك أصابعه يقلب عينيه فيها: من المحزن أن تقضي زهرة شبابك وبقية عمرك في هذا المكان البئس، لكنني أؤكد لك أننا سنتصر عليكم في أفغانستان وسنطأ على رقبة كل من تسول له نفسه التمرد علينا.

لست أفغانياً، لكننا كمسلمين نعتبر أنفسنا أمة واحدة، فاسمح لي أن أخبرك بهذه القصة الحقيقة التي وقعت لي شخصياً حينما كنت في معقل قندهار الذي كان سابقاً مطار قندهار قبل تحوله إلى معتقل، كانت الأسلاك الشائكة تحيط بنا والجنود منتشرون بأسلحتهم في كل مكان، كنت أمشي حول الخيمة أتفكر في حال هذه الأمة الأفغانية المظلومة، قد غلبني الحزن وأنا أرى الصلبان مرتفعة خلف الجدار الصغير المحيط بالمعتقل، إذ رأيت قطعة معدنية تلمع تحت ضوء الشمس، التقطتها وأزلت عنها الغبار، فإذا عليها نقش شعار الشيوعية (المنجل والشاوكوش)، رجعت بي الذاكرة إلى ما قبل عشرين عاماً، حين احتشد في ذات المكان الذي نحن فيه أكثر من عشرين ألف جندي سوفيتي، من الواضح أنها كانت ميدالية علقها أحد الجنود السوفيات الذين تواجدوا في هذه المكان، لقد اندر الجيش السوفيتي وهرب يجر أذيال خبيته، وبقي مصير هذا الجندي مجهولاً ولم يبق منه سوى ميدالية نتعظ بها على تقلب الزمان واندحار الغزاة ولو بعد حين، عشرون ألف جندي سوفيتي أين هم الآن؟ تملكني العجب لأن الجيش الأمريكي قد أزال كل القطع المعدنية من المعسكر كي لا تستخدم في زعزعة أمن المعتقل، لقد افتلت هذه القطعة المعدنية من كل الإجراءات الأمنية لتوصل لنا رسالتها البلاغية التي فهمتها جيداً، أخذت أتأملها معتبراً وأنا أقرأ قول الله: «وَتَأْكُلَ الْأَيَّامُ نُذَوْلُهَا بَيْنَ النَّاسِ»، هنا انتبه أحد الجنود الأمريكيان فجاءني ووجه سلاحه الرشاش نحو我 قائلاً: ماذا تحمل في يدك؟

ظن في يدي سلاحاً، لم يعلم أن في يدي عبرة وعظة أعظم من السلاح.

مددت إليه يدي: انظر.

رأها مستغرباً وهو يقول: ما هذا؟

فأجبته وأنا أنظر في عينيه لأرى هل فهم العبرة أم لا: هذه الميدالية كانت شارة لجندي سوفيتي كان يحتل هذا المكان قبلك بعشرين سنة، كل ما نعلمه أن هذه الشارة هي كل ما تبقى منه قبل أن يرحل عن هذه الأرض أو يدفن فيها!

ابسم الغبي وهو يدسها في جييه فرحاً : ذكرى جميلة!!

التفت إلى المحقق الذي كان ينظر إلي باهتمام بالغ ، ابتسمت قائلاً: لقد طبع الله على قلوبكم جميعاً من رئيسكم بوش إلى أصغر جندي ليستدرجكم إلى نهايتكم المظلمة كما استدرج الظالمين قبلكم ، حين رأى فرعون البحر ينفلق لموسى صاح بقومه مبهجاً: انظروا كيف انفلق البحر لي كي أسحق هؤلاء الأشرار!

قام من كرسيه وهو يجمع أوراقه ، ثم حدق بي غاضباً وهو يقول ببطء شديد مؤكداً على كل كلمة:

(You will be here for a long long long time) ستبقى هنا لزمن طويل طوبل طويل !

قالها وهو يمد صوته في كلمة (long) ، فابتسمت مجيئاً :

(But I don't believe that the USA will maintain its power within this long long long time). لكنني لا أعتقد أن الولايات المتحدة ستحافظ على قوتها خلال هذا الزمن الطويل . الطويل الطويل ! مددت صوتي محاكيأ طريقة في نطق (long) .

فتح الباب غاضباً ، وقبل أن يخرج التفت إلى التفاتةأخيرة قائلاً: عموماً إذا غيرت رأيك فاطلب مقابلتي من الجنود لأنني سأرحل بعد ثلاثة أيام ولن أعود.

سأطلبك في تاريخ ٣٠ فبراير القادم!

: ولماذا هذا التاريخ تحديداً؟

مبتسماً: لأنه لن يأتي!